ليلة من نوفمبر

بين الشاعر الموتور في حبه وبين موزا ربة الشعر

الشاعر : أهذه أنت ؟ عليك السلامْ ! أنت التي فارقتني منذ عامْ
أجئتِ في الحبِّ تُعزّيني ؟ لقد مضى الحبُّ وراحَ الغرامْ
أجئتِ للإلهام ؟ أهلاً إذنْ لا عُدْتُ للشِّعْرِ ولا للهيام

الطيف : جئتُ في الحبِّ أعزّي وقد فات كما أعلمُ وقتُ العزاء
وإنما جئتُ لتيّارةٍ تَيَّمْتَها يا شاعري بالغناء
فاليومَ تهوي في البراري كما تهوي ذئابٌ جائعاتٌ ظِماء
والليلُ يبدو حالكاً فاغراً كأنه سرٌّ وعاهُ الخفاء
وكُوَّةُ الدارِ على وجشةٍ تُصليكما من زمهرير الشتاء
وحيثما دُرتَ بعينٍ ترى شيئاً يُريدُ الخلدَ . يهوى البقاء
أين إذن فيشاركُ المجتبي هل تُثمرَنْ فيه عوادي الفناء ؟

شاعر : إني هُنا وحْدي أعيشُ في سُهْدِ
لا نار تحميني فأنا الصردِ
أهيمُ في وادٍ ليس بذي حدّْ
فإنْ كنتِ تبغينَ فيثارتي فمُّ بإحدى الزوايا الأمينهْ
هُنالك غارقةٌ في الدموعِ كما لفظ الموج باقي السفينهْ
تُطيفُ بها صورُ الأمسيات وتأخذُها الذكرياتُ الحزينهْ

الطيف : جوانبُكِ فيه رنينُ الأسى كأنكَ ما زلتَ في « أسرها »
هَلُمَّ نقصَّ أحاديثها لعلكَ تزاح من ذكرها

الشاعر : حسبتُها في الورى ملاكاً وقلتُ لا تفهمُ الرذيلهْ
عشقتُها الروحَ والسجايا ولم تلكُ الفادةَ الجميلهْ
وهبتُها فوقَ ما ترجّي ولم أدَعْ في يدَيَّ حيلهْ

غنّيتُها في الربيع أحلى ما قاله الطيرُ في خميله
الطيف : فهل أجابتْ توسلاتِ ردّدتها في الهوى طويله ؟
الشاعر : أجل ! بل لقد عصفتْ بي الهوى وصرتُ فتاها وأحلامها
إذا أنا جافيتُها مرّةً تلجّى سنا الشمس قدّامها
وإن أنا أخلفتُ ميعادها بكتْ ونما الشكُّ أوهامها
وما كان أكثرها فتنة ! . . .
الطيف : أما قلتُ لم تلكَ ذاتَ الفتونْ ؟
الشاعر : صدقتِ . . ولكنْ سنا روحها أضاء بوجناتها والعيون
إذا ابتسمتْ وإذا عابثتْ وإن لفتْ جيدَها والجبين
فكانت لدَيّ أعزّ النساء وأحلى بفتنتيها أيها تكون
الطيف : ثم ماذا ؟ كيف خلتْ قلبَك المفتونَ يدري ؟
الشاعر : لستُ أدري خدعت قلبي . . وكان الحبُّ أعمى !
أم أنا بدّلتُ دنيا جهلَها بانشرا علما
فوهبتُ السوم كنّا لم تجد غيري ترى
علمتْ كيفَ تثيرُ الغيرةَ الحمقاءَ رفقا
الطيف : أو ما كنت قرير العين ؟
الشاعر : بل كنتُ شقيّا
أعرفُ النقصَ الذي فيّ ولا أرجو وفيّا
وأنا الساعي من البدْ ء ولم يَسْعَ إليّا
ربّ وهمٍ جسّمتهُ مُقلة الشكّ لديّا
الطيف : وهْيَ ؟
الشاعر : ما كانت تُبالي من جميع الأمر شيّا
بعدما شدّتْ زماميَ ساقت الذلّ عليّا
الطيف : ثم ماذا كان ؟
الشاعر : حقدٌ ثائرٌ في جافيّا

أحسبُ الوجْدَ طواهُ ثمَّ ألقاهُ فتيّا
الصبا عادتْ صبوحاً تقتلُ الزهرَ الندِيّا
وأتى اليومُ الذي أصفتُ به لسوى البلبل ذي القلب الحزين
الطيف : يا له من طائرٍ جدِّ أمينْ يا لها من زنبقٍ غير أمين
الشاعر : لم تَعُدْ زنبقة بل وردةٌ ذاتِ شوكٍ خائنٍ يدمي الوتين
الطيف : فلماذا لم تظأها في الثرى ؟
الشاعر . كان منها الظلُّ يجري في الجبين
عُدتُ من هولِ جراحي كارِحاً كلُّ ما غنّى نوادي من لحُون
هذه قيثارتي حطمتُها ودفنتُ الأمسَ في دمعٍ كتُون
الطيف : لك الله في الحبِّ يا شاعري وخوفيت من جرحك الغائر
تعالَ انظرِ الآنَ وجهَ الرياضِ لقد رفَّ بالزنبق الطاهر
الشاعر : هراءٌ ! فليس ترى مقلتاي سوى الورد في شوكه الناضر
الطيف : . . لأنك تنظر وجه الأديم.. تطلع الى الفلك الدائر !
تطلع تر الزنبق المستحب هنالك في الشرق الزاهر
(وتكشف النافذة العتيقة عن لمحة من السنا رقيقه)
(تسرّبت من أفرع الحديقه)
الشاعر : حقّاً . . جميلٌ ربي ما أرى !
الطيف : فلتهتف الآنَ بلحن جديد
مع الضنا والظل بين الربى مع الغصون الخضر تشوى تميد
مع الهزاريّ إذا أقبلت عرج في التلّ الرطيب المديد
اليك قيثارٌ له رنةٌ أرق ما يرجو الفؤاد السعيد
(ويمسكُ الشاعرُ بالدين مبتسماً مغرورق العينين)
(في شاهب من السنا لجين)
ويختفي الطيف كما أتاه فتكتب الغصونَ شفتاه

. . . . . .

لعله ينسى إذن هواه !

القاهرة يوسف جبرا